آل ياسين

للاستاذ الخطيب السيد محمد حسن الشخص

في مثل هذا الظرف العصيب من حياتنا الروحية ، وفي مثل هذه المرحلة من فوضى الاخلاق وتجهم الناس عن مثل الدين وتعاليمه ، يفجع المسلمون في اقطاب الارض كافة بشيخ الامامية وزعيم الطائفة ومرجعها الديني الاكبر آية الله الامام آل ياسين .. وكان الناس احوج مايكونون الى إمام كامامنا الراحل يأخذ بأيديهم الى مهيع لاحب مستقيم ، يتفيأ المسلمون ظلاله الوارفة بالعلم والعرفان .

ولست آتياً بجديد عن سيرة راحلنا العظيم ، فلقد وقع الناس منه على حقيقة اشبه بحقائق الانبياء والمعصومين والاولياء المهدين صلوات الله عليهم اجمعين .

فسأحاول - إذن - إن اقدم للقارىء الكريم دراسة تأريخية لهذه الاسرة العريقة التي انجبت امامنا الراحل العظيم متوخياً الحقيقة ، هادفاً الى الايجاز دون الاسهاب .

* * *

لآل ياسين من أمجادهم القديمة مايمتد بهم في طيات الزمن الى قرون عدة كانوا خلالها ملجأ يلجأ الناس اليه في الملمات : يستظلونه عند اشتداد المحن ، ويرجعون اليه في أمور عقائدهم فيصدرون عنه بالكثير ، الكثير من تعاليم دينهم ودنياهم ، حيث كان لها - ولما يزل - مركز روحي نافذ قديم بين الاسر الدينية الشهيرة تربعت عليه واستحكمت اصوله منذ وشجت جذورها الكريمة في الكاظمية (١) وازدهرت على عهد عميدها « الشيخ محسن الكاظمي » من اعلام القرن الحادي عشر للهجرة ومن رجال العلم المرموقين آنذاك .

فكان ينزل - رحمه الله - من قلوب عارفيه ومحبيه ومؤيديه مقاماً محموداً يغبطه عليه زعماء البلد واولو الرأي فيها ، ولما آلت اليه رياسة الدين كان عيلمها الكبير ، وشيدها المرموق وفارسها المعلم .

فتقلبت الاسرة عنه دست الرياسة الدينية تستلمه كابراً عن كابر حتى انتهت به الى زعامة طبقت الآفاق صيتاً ، وملئت الدنيا تهليلا وتكبيراً على عهد جدها الاكبر آية الله الامام الشيخ محمد حسن آل ياسين قدس سره - فقد رجعت اليه رياسة الدين واستلم قيادتها الروحية بعد وفاة شيخ الطائفة الامام الشيخ مرتضى الانصاري سنة ١٢٨١ للهجرة حيث لم يكن في المجموعة المباركة من هيئة العلماء في العراق وايران واقطار المسلمين كافة ، اقدم ولا اعلم ولا اورع

(١) من الاقوال المتواترة ان « آل ياسين » يمتد بهم النسب العرفي الى « الخزرج » القبيلة العربية الشهيرة - وفي هذا مايدلنا على رسوخ عروبة هذه الاسرة ومحتدها السليم .

ولكم به اقتبس الهدى من بعدما ضل الطريق وتاه بين شعابه
النور والايمان ضوء سمائه والفكر والعرفان مسك ترابه
ما الخلد الا روضة ولأنت في واد . تمنى الخلد رمل يبابه
وابوك حيدرة عليك . يمجده يحنو حنو أب على أعقابه
ويكاد يحتضن الكواكب قبره كي ترضعي الانوار من اعتابه

* * *

يا آل ياسين وحسبكم يد تبيض في دم قلبكم ولبابه
تاريخ مجدكم والنجوم سطوره لما يزل . والوحي من كتابه
آمنت ان الله اودع روحكم ابواب حكمته وفصل خطابه
سالت جروح المسلمين بجرحكم متعطرات في شذا اطيابه
الصبر ثوبكم الجميل منور الجنبات في تقوى الرضا وخضابه
فتقبلوا من شاعر قذف الاسى وجدانه شرراً على اعصابه

النجف :

محمد حيدر

ولا أجرى من زعيم هذه الاسرة الكريمة يومئذ وهو الامام الحسن الذي يتصل بجده المحسن الكبير عن ثلاثة أجيال كانوا أفراد هداية ، واسفار حكمة ، ومصدر علم وعرفان .

وكان الامام الحسن فيما تقلده من الرياسة الدينية الكبرى مدى ثمان وعشرين عاماً « اعني من وفاة الامام الانصاري الى وفاته سنة ١٣٠٨ » مثالا للعلم الديني الذي يصح انه ينوب عن النبوة في عصمتها ، وعن الامامة في زهدها وجهادها في الدين ، وتوجيهها الناس للخير . فلقد اجتمعت في شخصه العظيم روحانية علوية انتشر عبقها في مشارق الدنيا ومغاربها أخذت على المسلمين اقطار نفوسهم .

فهو المقلد الذي خضع له العراق حكومة وشعباً عن رغبة وعقيدة وايمان وكان لقوة عقيدة الناس فيه ان رووا له من الكرامات ما يشبه معاجز الانبياء والأولياء لانه كان - قدس سره - من زهده في الدنيا وقوة همه في الدين وشدة حرصه على توجيه الخلق العام ومن سعة افقه ورحابة تفكيره ومن نتاجه في التأليف (١) وفي تدريس العلماء الاكفاء وتخريج جماعة من المجتهدين الذين خلفوه في العلم والعمل والنفع العام ، كان من جميع ذلك الرجل الجدير بلقب (إمام) فهو نسيج وحده في قائمة السابقين واللاحقين من علماء المسلمين .

وكان «ديوانه» - رحمه الله - موطناً للادباء والشعراء يتبارون فيه بالمديح والثناء ، وكان للشاعر المفلق السيد حيدر الحلي قصب السبق في حولياته التي كان يقدمها في مدح الامام آل ياسين وأياديه البيض على الدين والمسلمين .

وممن استأثر بمدحه الشيخ دون سواه شاعر الكاظمية الشهير الشيخ جابر الكاظمي ، وكان يقدس آل ياسين الى حد قد يبلغ الشطط أحياناً .

توفي - رحمه الله - سنة ١٣٠٨ للهجرة كما أشير اليه اعلاه ، عن عمر نا هز التسعين فكان العراق من اوله الى اخره مأتماً واحداً في مصابهم العظيم لفقيد العلم والزعامة الكبرى ، ونقل نعشه الكريم من الكاظمية الى النجف الاشرف مشيعاً في كل بلد وكل ريف يمر عليه بمواكب المستقبلين والمودعين واللاطمين . . . وحدث المغفور له آية الله الامام السيد ابو الحسن الاصفهاني فقال : - « ما رأيت منذ وجدت في النجف تشييعاً نهضت به المدينة كتشييع المرحوم آية الله آل ياسين قدس سره . »

فهكذا كان - رحمه الله - آية من آيات الله ينحدر عنه السيل ، ولا يرقى اليه الطير (١) .

* * *

ولم تعدم الاسرة - حين فقده المسلمون - من يقوم مقامه ويؤدي رسالته العلمية الكبرى ، ففي احفاده من طبق صيته الدنيا ، وبلغ اسمه الخافقين ، حتى لم يعد الناس يذكرون الامام الحسن إلا سالكين معه اسم حفيده الاكبر آية الله الامام الشيخ عبد الحسين آل ياسين - حيث ان الابناء العلماء الاكفاء المعترف بكفاءاتهم وهما الحجتان الشيخ باقر والشيخ جعفر ولدا الامام الشيخ محمد حسن كانا قد توفيا في عهد ابيهما العظيم وكان الامام الكبير الشيخ عبد الحسين العلم المرجى لخلافة شيخنا الراحل ، فوقف الناس منه بما يشبه موقفهم من جده الكبير . . . وهكذا اصبح الامام ابو الرضا علم العراق الذي يشار اليه بالأنامل وبلغ من نفوذه الديني مالم يتيسر مثله للكثيرين من امثاله من العلماء الاكفاء وكان في مبعث النهضة العراقية احد مراجع الدين الذين يلجأ

---

(١) - له تآليف كثيرة في مواضيع مختلفة واشهرها كتابه الفقهي العظيم الموسوم باسرار الفقاهة وهو احد عشر مجلداً ضخما يزدحم بأروع الآراء والتحقيقات العالية .

(١) وللافاضة في ترجمة شيخ الطائفة الاكبر الشيخ محمد حسن آل ياسين مواطنها الاخرى حيث تستعرض هناك اعمالا وخططاً ، كانت ولا تزال ، ذات الاثر البليغ في الدعوة الى الحق وازاحة الاستار عن كثير من الحقائق .

الناهضون اليهم للاستعانة بارائهم ونفوذهم . فكانت داره في الكاظمية مركزاً للزعماء ورجال الثورة يجتمعون بها ، لاستشارته في عظيم الامور وخطيرها ، ولدراسة الخطط الناجحة في استئصال شافة العدو من البلاد ، فكنت تراها تزخر بعلية القوم ورؤسائهم وساداتهم ووجوههم جاء واليها من اطراف القطر لتبادل وجهات النظر وأخذ اقربها الى الفوز والظفر ، فهكذا غذى سماحته الثورة بتعاليمه السامية التي أدت بنهاية الشوط ـ الى نصر ساحق مبين . . . وهو احد العلماء الأربعة الذين زارهم المغفور صاحب الجلالة الملك فيصل الاول في منازلهم .

كان ـ رحمه الله ـ آية في حسن السلوك وفي براعة التوجيه سواء للناس او للأسرة او لاولاده الاعلام فأنجب من الاشبال من هم مفخرة العصر علما وعملا وفضلا وادبا وخلقاً وخلقاً .

توفي ـ قدس سره ـ في الثامن عشر من صفر سنة ١٣٥١ للهجرة عن (٧٤) عاما ونقل جثمانه الطاهر في تشييع عظيم في الكاظمية وتشييع اعظم في كربلاء حضره اكثر من مئة ألف نسمة ، وتشييع فخم في النجف الاشرف ، ودفن مع جده الكبير في مقبرة (آل ياسين) . . . وهكذا تسلم افراد هذه الاسرة الكريمة المجد يداً عن يد ، وأباً عن جد . فلم يخب لهم نور ولم يخفت له صوت منذ قرون وقرون : شيوخ وائمة ، وهداة نافعون ، وعلماء عاملون . . .

* * *

وسطع نور هذه الاسرة عالياً للمرة الثانية بل الثالثة على عهد فقيدنا الاكبر آية الله الامام الشيخ محمد رضا آل ياسين الذي كان امثولة جده العظيم في كثير من اخلاقه وآرائه وسلوكه .

ولد ـ قدس سره ـ سنة ١٢٩٧ في الكاظمية ونشأ في حضن أبيه وجده الكبير يغترف العلم من ينابيعه وكان ربما امتحنه جده الاكبر في دروسه ومطالعاته ـ وهو يعد في عقده الاول من عمره الشريف ـ واذا هو عند ظنه وفوق ظنه ، فيأخذه اليه ويربت على كتفيه ويقول له : « انت خلفي . . أنت خلفي . » .

ولم يخب ظن الجد الكبير فلقد ثابر حفيده على تحصيله العلمي قليل النظير بين أترابه حتى حاز درجة « الاجتهاد » ولما يطو من عمره العقد الثاني . وهذا يدلنا دلالة واضحة على ما كان لشيخنا الامام الراحل من قوة العزيمة ، وسعة الذهن ، ومرونة التفهم العميق لمشكلات العلمين : الفقه والاصول . فليس فيما وصل الينا من حياة علمائنا الاعلام ، من استوت له مثل هذه الكفاءة العلمية النادرة الا لقليل وقليل من علماء المسلمين منذ الصدر الاول حتى عصرنا الحاضر .

ثم رحل فقيدنا الامام الى النجف الاشرف سنة ١٣٢٩ وكان ـ بعد سنوات قليلة ـ أحد مراجعها الاعلام المرموقين يرجع المسلمون اليه في اقطار الدنيا يستشيرونه في امورهم وقضاياهم .

وكون في النجف الاشرف حلقة علمية للفقه والاصول قل نظيرها تخرج عليه فيها مجتهدون كثيرون ، وكان منهجه التدريسي ينحو نحو « التثقيف العقلي وتداول الرأي وتغليب اوجه المتباينة واستحصال النتيجة المرجوة بعد نقد وتمحيص من قبله ومن قبل طلابه الافاضل . واننا على حق حين نقول أن حلقة الشيخ العلمية هي الفريدة في كيفيتها في النجف الاشرف .

وهكذا رجع جمهور الشيعة الامامية في الاقطار الاسلامية اليه بعد وفاة آية الله الامام السيد أبي الحسن الاصفهاني ، فكان المقلد الاكبر للطائفة عند جدارة واستحقاق .

جاءته مرجعية الدين تسعى اليه سعياً ، وكان ـ رحمه الله ـ يخشاها ويفر منها فراراً لما جبل عليه من حب القناعة والرضا والابتعاد عن الظواهر وعن طلب الزعامة والصدوف عن الدنيا وبهارجها .

ومشى في رياسته الدينية مشية الانبياء زهداً وتواضعاً وخلقاً وكرماً وخشية لله ومراقبة لليوم الاخر ، واعطى عطاء الملوك فكان الدرهم لا يمر على يده الا عابراً الى يد فقير